فضائل وبشريات

عن أُبَي بن كعب ﷺ قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ. قَالَ: قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: يَا أَبا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ. قَالَ: قُلْتُ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ. قَالَ: فَضَرَب فِي صَدْرِي وَقَالَ: واللهِ لِيَهنِكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ»(١).

وعن أبي أمامة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ؛ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا المَوْتُ»(٢).

وهذه الآية قد تشتمل على اسم الله الأعظم كما قالت أسماء بنت يزيد بن السكن: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]، أن فيهما اسم الله الأعظم»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨١٠).

(٢) أخرجه النَّسائي في السنن الكبرى برقم (٩٩٢٨) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٦٤).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٢٧٦٥٢) وقال شُعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف عُبيد بن أبي زياد، وشهر بن حوشب.

obeikandl.com

توضيح وبيان

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

المولى ﷻ لا شريك له في ملكه وسلطانه، وصُدِّرت هذه الحقيقة بالاسم الأعظم، اسم الذات (الله) فمن سواه يُعبد ويُشكر، ويُرجى ويُهاب، ويُطَاع ويُدعَى؟ فسبحانه لا معبودَ بحق إلَّا هو ولا مُطاع إلَّا هو، لهذا جاءت على سبيل القصر لبيان أن الألوهية هي أساس الدين، ومنبع كل حكم، وإليها يرجع كل أمر.

وهذه الصيغة تحمل بذاتها دليل صدقها، وبُطلان ضدها؛ لأنه إمَّا أن يكون هذا الكلام حقًّا وصدقًا، وما دام كذلك فلتُسلم له، وإمَّا أن يكون غير ذلك فأين ذلك الإله الآخر الذي أوجد وخلق، ورزق وأعطى؟!

﴿ٱلْحَىُّ﴾:

الله ﷻ «هو الحي الذي لا يموت، الباقي أبدًا، والدائم دومًا، وكل شيء هالك إلَّا وجهه، واعلم أن الحي هو الذي يكون على صفة تُبقى له صلاحيته لمهمته كالنبات الذي ينمو فتلك أمارة حياته، والعكس صحيح، وكالإنسان عندما يموت تنتهي صلاحيته لمهمته» فسبحانه هو حي بلا بداية أو نهاية حياة تليق بجلاله وعظمته[1].

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾:

سبحانه هو القائم على أمور عباده وهو غني عنهم، المُدبّر لأرزاقهم وقُوتِهم وجميع ما يحتاجون إليه، الحافظ لما خلق والمراقب لكل عباده وخلقه.

---

(١) تفسير الشعراوي (٢/ ١١٠٦) بتصرف.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾:

وتأكيدًا لقيوميته وقيامه على كل شيء، وقيام كل شيء به، فإنه سبحانه لا ينام، كما جاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع: «**إن الله لَا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه ويُرفع إليه عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار**»[(١)] فسبحانه لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، لأن ذلك غيبوبة وشغل عن قيوميته ورعاية خلقه وسبحانه مُنزه عن ذلك[(٢)].

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

فالكون كونه، والخلق خلقه، وهو المالك لكل شيء، وكل ملك في يد العبيد فهو عارية لأجل محدود ثم ترد إلى صاحبها الذي أعارها في الأجل المرسوم.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾:

الكل مقهور تحت سلطانه، ومربوب تحت لوائه، فلا يتقدَّم أحد بين يدي ربه، ولا يجرؤ على الشفاعة عنده إلَّا من بعد إذنه سبحانه وتفضلًا من الله ﷻ إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾:

فالله ﷻ يعلم كل شيء فالغيب عنده شهادة، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون ولا علم لأحد من خلقه إلَّا بما أذن له أن يعلمه.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، للإمام النووي /(٢/ ١٧) رقم (٢٩٥).

(٢) تفسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص١١٠.

obeikandl.com

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ :

الكرسي يسع السَّمَوَاتِ والأرض على ضخامتهما وعظمتهما، وهو ليس أكبر المخلوقات، فهناك أعظم منه وهو العرش.

عن أبي ذر ﷺ أنه سأل النَّبيّ ﷺ عن الكرسي فقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا السَّمَوَاتِ السَّبْعِ عِنْدَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الحَلَقَةِ**»(١).

قال ابن كثير: «الصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه(٢).

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ :

لا يعجزه، ولا يثقله حفظهما؛ لأنه ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ على سبيل القصر والحصر، ولم يقل (على عظيم)؟ لأنه العليّ حقًّا. والعظيم صدقًا فسبحانه له العلوّ المطلق من جميع الوجوه:

١- **علو الذات**: فالله ﷻ مستو على عرشه فوق مخلوقاته كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

٢- **علو القهر والغلب**: كما قال ﷻ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر].

٣- **علو المكانة والقدر**: وهو الذي أطلق عليه القرآن «المثل الأعلى» كما

---

(١) رواه محمد بن أبي شيبة في كتاب العرش (١/ ١١٤) وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (١٠٩).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٢).

في قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧][1].

* الجامع لكل صفات العظمة والمجد، والكبرياء والسمو.

* العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته، وفي رحمته وعفوه، وفي قوته وجبروته.

وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

أمارات الإلهية على العبد الصالح:

- أن تكون عبدًا لله كما أمر الشَّرع.

- أن تَزِنَ قِيمَك وأحكامك بميزان شرع الله ﷻ، وتنطلق موقنًا بها داعيًا إليها، ثابتًا على تبعاتها.

- أن تُقبِلَ على مولاك، وتُعطِي من دنياك إجازة، لتفسح للخير مساحة.

- أن تهجر الآثام، والمعاصي خضوعًا لله ﷻ، ورهبةً منه ورغبةً فيه، فحرام على قلب يشرق فيه نور الحق، وفيه شيء مما يخالف أمر الله وشرعه.

- أن تجعل عملك لمن لا يغيب نظره عنك، وأن تجعل طاعاتك لمن لا تنقطع نعمه عنك، وأن تجعل قولك لمن لا تخرج عن سلطانه طرفة عين.

---

(١) ولله الأسماء الحسنى، عبد العزيز بن ناصر، ص٢٥٦. بتصرف.

- أن تحذر من الشرك وسبله، والكفر وأبوابه[١].

الوقفة الثانية: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾

إذا كنت مؤمنًا بهذين الاسمين هلَّا تدبَّرت مقتضياتهما وتبعاتهما، وهلَّا علمت أن القول المجرد لا قيمة له ما لم يُترجَم إلى عمل صالح يُصدقُه، وإلى سلوكٍ حق يؤكده وإلَّا فلا تنسى قول الشاعر:

نَبْنِي مِنَ الأَقْوَالِ قَصْرًا شَامِخًا وَالْفِعْلُ دُونَ الشَّامِخَاتِ رُكَامُ[٢]

* أن تؤمن بأن ربك له الحياة الكاملة التي تتضمن كل كمال وكل عظمة، وذلك الكمال يُثمر الطاعة، الخضوع، واللَّذة والسرور؛ لهذا كان دعاء المكروب: «**يا حيّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث**»[٣].

* أن تعلم أن الحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام كما هي حياة أهل الجنة: فلا نصب هناك ولا غَمَّ ولا حَزَنْ.

* أن نتوكل عليه وحده: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان].

* الحيّ الدائم الباقي الذي لا ينام ولا يغفل عن خلقه طرفة عين، وهل سواه يستحق التعلُّق به، وهو بشر ضعيف ينام ويغفل، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضُرًّا، أهذا جدير بالتعلُّق به؟!

* أن تعلم أن لك نهاية وأن الحياة الدائمة التي يهبها الله الحيّ لن تكون

---

(١) تفصيل ذلك في شرح حديث (لا إلَه إلَّا الله).

(٢) من قصيدة (زحام الأجسام) لمحمد بن عبد الله المقرن. مجلة البيان - العدد ٢٦.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٢٤) وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (٣١٨٢).

إلَّا في جنات عدن، وهذا يسوقك لعمل الصالحات وهجر السيئات وتدبّر قول ربك: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

* أن تعلم علم اليقين أن الله قائم بنفسه، فلا يحتاج إلى أحد، بل يحتاج كل أحد إليه؛ لأنه لا قيام لأي مخلوق إلَّا به، وبعونه، وبمدده.

* أن تُنزل حوائجك به وحده، وتقطع كل طمع فيما سواه، وكل رغبة فيما عداه.

* أن تعلم أن الله القيوم يحفظ وليّه ويهديه وينصره.

* أن تدعو الله به صادقًا فهو اسمه الأعظم، كما جاء في الحديث الشريف.

ثمرة الذكر

* فإذا آمنت أن القيُّوم هو القائم على كل نفس، ولا يخفى عليه شيء راقبته وحفظت سرائرك. قال: «**محمد بن النضر الحارثي**»، عندما سأله رجل: أين أعبد الله؟ قال: أصلِح سريرتك واعبدُهُ حيثُ شئت.

* فالله يراك حيثما كنت، فاعبده كما أمرك يعطك ما تحب، وتيقّن أن لك سترًا بينك وبين الله، وسترًا بينك وبين الناس، فمتى هتكت الستر الذي بينك وبين ربك فتأمل حلم الله تعالى وصبره لكي لا يهتك الستر الذي بينك وبين الناس. فتأمّل حالك، وتدبّر أمرك.

* فعلمك أن مولاك لا ينام يورثك الخشية منه والحياء؛ لهذا سُئلَ أحد الصالحين: بمَ أستعين على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك

obeikandl.com

أسبق من نظرك إلى الحرام[١]. ومن استحيا من ربه عند معصيته استحيا الله منه عند حسابه.

لحظة تدبُّر

* تَعلَق رجل بامرأة وأراد بها الزِّنا وتمكَّن منها، لكنه ذكر الله والدار الآخرة، فقام عنها وقال: والله إن امرءًا باع جنَّةً عرضها السموات والأرض بشبر بين رجلي امرأة لرجل قليل البصر بالمساحة والآخرة.

* وقال آخر لمعشوقته: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، أخاف نارًا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهيبها.

* والثالث الذي أراد الزِّنا فقالت له المرأة: هناك باب لم تغلقه فقال: وأي باب هو؟ قالت: الباب الذي بيننا وبين الله ﷻ.

فَـوَا سَـوأَتَـاهُ والـلـه رَاءٍ وسـامـعُ لعبدٍ بعينِ الله يغْشَى المَعَاصِيَا[٢]

فيا إخوتاه

أينام ربكم، أيغفل مولاكم؟ أتُهملُ الحفَظَة؟ أتَنسى الملائكة؟ ما لكم كيف تفكرون؟ مهلًا ماذا تفعلون؟

سَأصَبُر صَبرَ الحرُ مُحتَسِبًا قل: لعل ربي من الفردوس يُدنيني

فلا تجعل الله أهون الناظرين إليك: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء].

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، ابن رجب الحنبلي، ص٥٠.

(٢) روضة المحبين، لابن القيِّم، ص٣٣٩.

* ومما نستفيده من علمنا بأن الله لا ينام: شدّ العزم على الطاعة، واغتنام الوقت مع المولى ﷻ، وذلك حينما ينام بنو الزمان، خاصة في الثلث الأخير من الليل، عندما ينزل ربك إلى السماء الدنيا ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأستجيب له؟ ولك أسوة في بلال بن رباح رضي الله عنه الذي سمع الرسول ﷺ صوت نعليه في الجنَّة وما دخل قصرًا إلَّا ووجد بلالًا سبقه إليه[١]؛ وكان يصلي بالليل ويقول:

يَـاذَا الـذي اسْـتَـغْـرَقَ فـي نَـومِـهِ مـا نَـومُ عَـبْـدٍ رَبُّـهُ لا يَـنَـامُ[٢]

* نزل عبد الواحد بن زيد من سفينته ومعه جماعة فوجدوا رجلًا يعبد صنمًا، فتعجَّبوا وقالوا له: إذا كنت تحتاج إلهًا فلنا إلَه، قال خبّروني ماذا تعبدون؟ قالوا: نعبد الذي في السماء عرشه، وفي الأحياء ذكره وفي الأموات قضاؤه، وفي الأرض سلطانه. قال ومن أخبركم بذلك؟ قالوا رسولنا ﷺ دلّنا عليه، وأخرجوا القرآن. قال: اقرؤوا فأنا لا أقرأ، واستمع للقرآن فقال: لا ينبغي لصاحب هذا الكلام أن يُعصى، وأسلم ومضى معهم، فلما دخل الليل ناموا فقال: يا قوم الإله الذي دللتموني عليه أينام بالليل؟ قالوا: لا، فقال: بئس العبيد أنتم لا ينام ربكم وأنتم تنامون، وتعجبوا منه وما دخل في الإسلام إلَّا من لحظات وعندما مكث في المسجد قالوا له: تريد دراهم لتأكل قال: سبحان الله! عصيته عمدًا فما قطع رزقه عني أينساني بعد أن آمنت به وأفردته بالوحدانية؟ يا قوم لقد دللتموني على رب لم تعرفوه[٣].

* وقيل اشترى رجل مملوكة، فلما دخل الليل قال: افرِشِي الفراش.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٣٠٤٦) والحاكم في المستدرك برقم (٥٢٤٥) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٨٩٤).

(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي (١/ ٣٢٨).

(٣) صفة الصفوة، لابن الجوزي (٤/ ٣٦٩).

فقالت المملوكة: يا مولاي ألك مولى؟ قال: نعم. قالت: أينامُ مولاك قال: لا. فقالت: ألا تستحي أن تنام ومولاك لا ينام[١].

❁ ❁ ❁

الوقفة الثالثة: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

الملك مُلكه، والخلق خلقه وما من مالك على الحقيقة إلَّا هو، فإذا تيقنت ذلك وآمنت به فما ثمرة ذلك الإيمان؟

❁ أن تهجر الشح والبخل والطمع وأن ترضى بما قسم المَلِك لك.

❁ أن تَقنع بما آتاك فلا حسرةَ على ما فات، ولا تألم على مفقود.

❁ أن تطلب ما تريد ممن بيده خزائن السموات والأرض، وخزائنه لا تنفد أبدًا فلا تذل لأحد ولا يستعبدك مخلوق.

❁ ❁ ❁

الوقفة الرابعة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾:

هنا استحضر عظمة ربك الجبار العزيز فلا سلطان إلَّا سلطانه، ولا شفاعة إلَّا بإذنه ولا متقدم إلَّا بأمره فلم لا تتوجه إليه وحده، وتدعوه وحده؟!

أنواع الشفاعة[٢]:

الأول: الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود، الذي يرغب الأولون والآخرون فيه إلى الرسول ﷺ؛ ليشفع إلى ربك كي يخلص العباد من أهوال المحشر.

---

(١) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي (٤/ ٢٤٢).

(٢) انظر: القيامة الكبرى، د. عمر سليمان الأشقر، ص١٨٩وما بعدها بتصرف.

الثاني: الشفاعة في أهل الذنوب من الموحدين الذين دخلوا النار، ولقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن المؤمنين عندما يطول عليهم الموقف في يوم الجزاء يطلبون من الأنبياء أن يستفتحوا لهم باب الجنة، فكلهم يتمنع ويتأبى، ويقول: لست لها حتى يبلغ الأمر نبينا محمدًا ﷺ فيشفع في ذلك[١].

الثالث: شفاعة الرسول ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي آخرين قد أُمِرَ بهم إلى النار ألَّا يدخلوها.

الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم.

الخامس: الشفاعة لأناس ليكونوا مع الذين يدخلون في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب؛ كما في حديث عكاشة بن محصن حيث دعا له الرسول ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب[٢].

السادس: شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف عذاب عمّه أبي طالب، حيث يخرجه الله به إلى ضحضاح من نار يُغطي قدميه يغلي لهما دماغه.

السابع: شفاعته في الإذن للمؤمنين بدخول الجنة[٣].

والشفاعة في أهل الذنوب ليست خاصة بالرسول ﷺ فقد يشفع النبيون والشهداء والعلماء، وقد يشفع للمرء أعماله، ولكن رسولنا ﷺ له النصيب الأوفر منها، وقد يشفع غيره أيضًا في رفع درجات المؤمنين، وبقية الأنواع خاصة بالرسول ﷺ.

---

(١) انظر صحيح مسلم الحديث رقم (١٩٥).

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٥٣٧٨) ومسلم رقم (٥٤٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي، ص٢٥٣.

obeikandl.com

هذه هي أنواع الشفاعة التي تقع في يوم القيامة، أما الشفاعة المرفوضة: هي التي يعتقدها المشركون والنصارى في آلهتهم، ويعتقدها المبتدعون من هذه الأمة في مشايخهم، ويجعلونها واسطة بينهم وبين الله ﷻ، ومن المعلوم أنه لا أحد يشفع في ذلك اليوم إلَّا بإذن من الله، ولا يشفع إلَّا إذا رضي الله عن الشافع والمشفوع، قال ﷻ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء].

والد (إبراهيم عليه السلام) لما مات كافرًا فإن الله لَا يقبل شفاعة خليله فيه فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَا رَبُّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ**»[(١)].

❊ ❊ ❊

ومن الشفاعات الجائزة شفاعة الرجل الصالح لأخيه لقضاء مصلحة له، أو حل معضلة يقع فيها، منها قوله ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»[(٢)].

الوقفة الخامسة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾:

استحضر سعة عِلْمَ مولاك، فهو يعلم السر وما يخفى، ويعلم ما كان وما

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٥)، ومسلم (٦٨٥٨).

سيكون، وسع علمه كل شيء، ولا تنسى قوله ﷻ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

* وتذكر قول الزهري: «والله إن نفسي لغالية وأضن بها عن النار ولصبر اليوم عن معاصي الله خير من الصبر على الأغلال»(١).

* واعلم أن لك ربًّا وهَّابًا عليمًا هو الذي وهبك ما يشاء، وأعطاك ما يريد فهذا الشعور يورثك التواضع، وهجر الكبر والتعالي، فما من نعمة إلَّا والله مسديها، وما من فضل إلَّا والله معطيه.

فاشكر معطي النعم، وواهب الفضل، فالحمد لله على ما أعطى، والشكر له على ما ستر وغطى.

❁ ❁ ❁

الوقفة السادسة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

سبحانه هو العلي: فاخضع لأمره، وتذلل له، وأقبل على عرشه، واهجر الكبر والظلم والتكبر؛ لأنك مهما علوت فالله هو الأعلى، يراك أنى تتجه، وأينما كنت، ولتستحضر حديث النَّبي ﷺ: «**ما زاد الله عبدًا بعفو إلَّا عزًّا وما تواضع أحد لله إلَّا رفعه الله**»(٢).

قال النووي: «يرفعه الله في الدنيا عند الناس ويجل مكانه، ويرفعه في الآخرة بحسن الثواب»(٣).

---

(١) اعتلال القلوب، للخرائطي، ص٨٣، وذم الهوى، ابن الجوزي (١/ ٦١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).
(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦/ ١٤٣) بتصرف.

تأمل هذه العظمة وهذا الملك، واخضع لعظمته وأفرده وحده بالطاعة والعبادة، ونزهه عن الشريك والند ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص]، وعظم أمره ونهيه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾[النساء]، وكن معظمًا لشعائره وحرماته ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠].

فهل تكون معظّمًا لأمر ربك: وصلاتك مهجورة، وقرآنك متروك، ونساؤك مُتبرّجات، وبصرك ناظر لكل سوء، وحرمات الله تنتهك ليل نهار وما غضبت، وما تألمت؟ وأنت تختار رخصة كل عالم، وتتبع زلّة كل فقيه، وما حرصت على معرفة الحق بدليله.

أما كان خيرًا لك أن تقف متأمّلًا قول المولى سبحانه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح].

إجمالًا

إذا كنت صادقًا في ذكر آية الكرسي فلتُحولها إلى منهج علمي، وذلك بأن تكون عبدًا لله كما أمر، منزّهًا له عن كل نقص، ومثبتًا له كل فضل، ومعظّمًا لكل ما شرع، ومجتنبًا لكل ما نهى داعيًا إيّاه وحده، متوكّلًا عليه وحده راجيًا له وحده.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّي لَنَا فَأَدْرَكْنَاهُ فَقَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ». فلم أَقُلْ شَيْئًا فَقَالَ: «قُلْ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: «قُلْ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ: «قُلْ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالمَعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٥٠٨٤) والترمذي برقم (٣٤١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١١٦٠).

فضائل وأنوار

* عن معاذ بن أنس الجهني، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِذًا أَسْتَكْثِرَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: اللهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ»(١).

* وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا: «يَا مُحَمَّدُ أنْسُبْ لَنَا رَبَّكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾»(٢).

* سورة فيها اسم الله الأعظم: كما ورد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»(٣).

* وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ». فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لأَنَّها صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٥٦٤٨) وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٨٩).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢١٢٥٧)، والترمذي برقم (٣٢٨٧)، وغيرهما وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٨٠).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٢٣٠١٥)، وأبو داود برقم (١٢٧٦)، والترمذي برقم (٣٤٧٥) وصحَّحه الألبانيّ في صحيح أبي داود برقم (١٣٤١).

(٤) متفق عليه: البخاري برقم (٧٣٧٥) ومسلم (١٩٢٦).